

البعد التلمحي للخطاب الشعري عند أحمد شوقي - مقارنة تداولية-
A Pragmatic Approach Towards Studying Innuendo in Poetical
Discourse for Ahmed Chaouki.

* عدنان ثامر

Adnan Tameur

مخبر الشعرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة / الجزائر

Université Mohammed Boudiaf- Msila /Algeria

adnantam28@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/09/02

تاريخ القبول: 2021/06/21

تاريخ الإرسال: 2020/11/07

ملخص البحث

يعالج هذا البحث ظاهرة التلميح في الخطاب، وهي استراتيجية خطابية يسعى من خلالها المتكلم إلى تبليغ مقاصده وإقناع المخاطب والتأثير فيه، وتوجيه سلوكه انطلاقاً من اختيار أسلوب التضمن غير المباشر بدل التصريح، والبحث يتفرع إلى قسمين: قسم نظري تناول القواعد التبليغية والتهذيبية للعملية التخاطبية وأبعادها التواصلية، والتلميح وعلاقته بمقاصد المتكلم.

أما القسم التطبيقي فقد تعرض فيه البحث لأهم الأبعاد التلمحية في الخطاب الشعري عند الشاعر أحمد شوقي، وذلك بدراسة التلميح في التركيب المجازي والأفعال اللغوية غير المباشرة التي تحمل طاقات إنجازية الهدف منها أثناء الخطاب هو التلميح، والتي كانت سبباً في الوصول إلى أهم مقاصد الخطاب الشعري. وخلص البحث إلى أن الخطاب الشعري يزخر بالتلميح نظراً لما يمتاز به من بنية خطابية وصيغة لغوية تؤهل نصوصه للدراسة في ضوء المقاربة التداولية من خلال الكشف عن أبعاد التلميح في هذا الصنف من الخطابات. الكلمات المفتاحية: مرسل، عملية تخاطبية، متلقي، التلميح، مرسل إليه، استراتيجيات الخطاب.

Abstract :

The present study deals with innuendo in discourse, which is a discursive strategy through which the speaker intends to explain his intentions and convince his audience by controlling their behaviour using implicit style rather than explicit. Hence, this research is divided into two main parts; a theoretical part dealing with informative and disciplinary rules along with the communicative purpose and the intention of the speaker in the discourse taking place, whereas, the second part is practical emphasizing Ahmed Chaouki's innuendo in poetic discourse. It analyzes

* عدنان ثامر: adnantam28@gmail.com

the role of innuendo in metaphors and illocutionary acts that carry within the intended objective served in poetic discourse. The paper concluded that poetic discourse is fraught with innuendo regarding its unique discourse structure and linguistic mode. These features qualify it to be studied following a pragmatic approach towards the analysis of its use.

Keywords: : sender, discourse process, audience, innuendo, receiver, discourse strategies.



مقدمة:

لكي تحقق اللسانيات اكتشافات جديدة في مجال دراسة الخطاب، فإنه من الضروري أن تتفاعل مع حقول العلوم الإنسانية الأخرى، وهذا ما يسمح بإبراز قضايا كثيرة تتعلق باللسانيات وتحليل الخطاب وما يتصل بهما تاريخيا واجتماعيا ومعرفيا، لأن اللغة ظاهرة لسانية اجتماعية لا يمكن فصلها عن الإنسان، وهي الأداة التي بفضلها يمكن له صياغة مشاعره وانفعالاته وتفاعله مع الآخرين وسلطته عليهم، وبها يؤثر في غيره ويتأثر كذلك.

بعد هذه المقدمة البسيطة التي أردنا من خلالها الدخول في صلب ما نريد تقديمه وهو دراسة التلميح في الخطاب الشعري عند أحمد شوقي لمعرفة غايات التلميح وأهدافه الخطابية، وذلك بالاعتماد على مقارنة لسانية تسعى إلى الكشف عن مقاصد التلميح في الخطاب الشعري عند أحمد شوقي، وقد اعتمدت هذه المقاربة المنهج التداولي الذي يعنى بدراسة استعمالات اللغة بين المتكلمين، وبهذا يكون البحث في الجانب التداولي للغة قد تجاوز سؤال البنية وسؤال الدلالة ليهتم " بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي، كما تعنى المقاربة التداولية بفهم العلاقة الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين، لأن البعد التداولي يبنى على سلطة المعرفة والاعتقاد"¹. وانطلاقا من هذا فإن هذا البحث يحاول الإجابة على السؤال الآتي :

كيف استخدم الشاعر أحمد شوقي التلميح في خطابه ؟ وما هي مقصدياته ؟

1 أولا: قواعد التخاطب التبليغية والتهديبية

حتى يضمن المتكلم نجاح التواصل مع غيره وجب عليه أن يربط العديد من العناصر اللغوية بمجموعة من العوامل الخارجية تسمح له بالارتباط مع الواقع التواصل في إطار شروط إنتاج الخطاب، وفهم آليات توظيف اللغة .

ويتحقق التفاعل والتعامل من وجهة نظر تداولية مفادها أن أي خطاب يقوم على جملة من العناصر التي تساهم بشكل كبير في نجاح العملية التواصلية ، ذلك أن الخطاب هو الميدان الذي تتبلور فيه هذه العناصر، والتي بدورها تشترك في بلورة عملية التواصل وهي: المرسل، والمرسل إليه، والخطاب، والسياق .

وتبعاً لذلك فإن السياق والخطاب يكتسيان أهمية بالغة في العملية التواصلية لارتباطهما ارتباطاً وثيقاً، فلا معنى للخطاب إلا إذا وضع في سياقه، وتظهر أهمية السياق في كونه يحصر التأويلات الخاصة بالخطاب، ويساهم بشكل كبير في الوصول إلى المعنى المقصود أثناء التواصل .

إن العلاقة بين طرفي الخطاب والعناصر السياقية لها دور مهم في إنجاح العملية التواصلية التبليغية التي تقوم على جانبين هما قواعد التبليغ وقواعد التهذيب " أما قواعد التبليغ فيمثلها السياق اللغوي، وأما قواعد التهذيب فهو مما يلزم أن تنضبط بها قواعد التبليغ وتحدد وجوه استقامتها الأخلاقية "2، وهذه القواعد تعني بالاستعمالات اللغوية في تعلقها بمقامات الكلام بغية حصول التواصل والتعامل بين المتخاطبين، وبواسطتها تنضبط عملية التواصل والتبليغ بين المتكلمين وتحدد وجوه استقامتها الأخلاقية . و تتمظهر قواعد الخطاب في مجموعة من المبادئ المشتركة بين المتكلمين أهمها مبدأ التعاون الذي تكمن أهميته أثناء التواصل في مساهمة طرفي الخطاب في المحاورة بقدر ما يتطلبه الهدف أو الوجهة المختارة لهذه المحادثة ، وبمقتضى هذا التعاون بين أطراف الخطاب فإن العملية التواصلية تبلغ مقاصدها، بمعنى أنه " يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام "3 .

إن مبدأ التعاون يخدم الجانب التبليغي في عملية التخاطب فقط، أما الجانب التهذيبي للخطاب الذي يراعي فيه المتكلم تفاوت المدارك في الفهم لدى المتلقي، ويصون لسان المخاطب الذي قد يجلب الضرر دون أن يكون واعياً بذلك، فهو من اختصاص مبدأ التأدب وهو مبدأ تداولي يضبط الآليات التي تساهم في نجاح التخاطب وكيفية الإتيان به على مقتضى الصواب والتهذيب الذي يتقبله المستمع ويستحسنه، فالتأدب " مقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز دلالاته القربية ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به، فلا يخفى أن هذا الضرب من التهذيب يولي الأهمية في التخاطب لعملية التبادل، ومعلوم أن كل تبادل بين طرفين يكون مبناه أساساً على سعي كل منهما إلى تحقيق أغراض تكون مشتركة ومتساوية بينهما "4 .

إن مبدأ التأدب يقف على الجانب التهذيبي من عملية التخاطب، ويأخذ بالجانب التبليغي منها كذلك، وينحصر هذا المبدأ في مدى التزام المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في المحادثة .

إن الغاية المرجوة من وضع هذه القواعد التخاطبية هو " أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد فإذا وقعت هذه المخالفة، فإن الإفادة من المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معانٍ ضمنية ومجازية"⁵، فإتباع القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون لا تضبط إلا الجانب التبليغي من الخطاب وتحتز من الالتباس في القول وتحاول أن تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح والابتعاد عن كل المعاني غير الصريحة، بينما يتفرع عن مبدأ التأدب كل ما له صلة بالقوة الإنجازية المستلزمة في التخاطب لأن " التأدب في إنجاز الأفعال التوجيهية هو الدافع لاستعمال الإستراتيجية غير المباشرة في الخطاب كمراعاة البعد الشرعي أو الاجتماعي أو الذاتي، والابتعاد عن الكذب باستعمال التعريض كل ذلك من مسوغات استعمال الإستراتيجية التلميحية"⁶.

إن عملية التخاطب تتأسس انطلاقاً من مقصدية المتخاطبين، وتتأسس كذلك على الخطاب الذي يسعى من خلال وظيفتيه التعاملية والتفاعلية إلى التعبير عن مقاصد المتكلمين من أجل تحقيق أهداف معينة ولتحقيق ذلك يتبع المتكلم (المرسل) خططا معينة هي التي يمكن أن نسميها استراتيجيات.

2 ثانياً: استراتيجيات التخاطب ومقاصد المتكلمين

ينبغي موضوع الاستراتيجيات التخاطبية على مصطلح الخطاب بوصفه الميدان الذي يحتوي على مجموعة من الانتظامات التي تعبر عن التفكير النظري والإنجاز اللغوي للإمكانات التي توفرها اللغة للمتخاطبين، والذين بدورهم يختارون ما يناسب مقاصدهم لتحقيق الأهداف التي يريدونها أثناء التواصل، وهنا تبرز سمة التخطيط من خلال اختيار استراتيجية معينة للوصول إلى تحقيق الأغراض اللغوية والمقاصد عبر استعمال اللغة بكيفيات منظمة ومتناسقة تتناسب مع مقتضيات السياق الذي يرتبط بموقف الكلام . ومن المسلم به أن اللغة تؤدي في جانبها التداولي دوراً رئيسياً في التعبير عن المقاصد التي ينويها المتكلم، وتساهم عناصر السياق في التعبير عن هذه المقاصد، وعلى المتلقي أن يفكك دلالات اللغة للوصول إلى المعنى المقصود الذي أراده المتكلم .

وتتنوع هذه الاستراتيجيات بحسب الأهداف التي يسعى إليها المتكلم أثناء التعبير عن مقاصده في العملية التخاطبية .

وتظهر في الخطاب مقاصد متنوعة منها المقاصد المباشرة التي تظهر في شكل الخطاب وهي التي يتوخاها المتكلم (المرسل) باستعمال لغة مباشرة تطابق دلالتها الحرفية المعنى المقصود والفعل اللغوي المنجز أثناء التواصل بين المتكلم (المرسل) والمتلقي (المرسل إليه) .

وقد يعتمد المتكلم إلى عدم إظهار مقاصده من شكل الخطاب، وعلى المتلقي أن يستدل على مقاصد المتكلم انطلاقا من الدلالة المرتبطة بالعناصر السياقية، والعلاقة التخاطبية بينه وبين المتكلم .

وهنا يسعى المتكلم (المرسل) إلى التواصل مع المتلقي (المرسل إليه) بطريقة تتجاوز دلالة الخطاب الحرفية، وذلك باستعمال استراتيجية غير مباشرة يلمح فيها تلميحا تضمينيا من خلال أقوال تتضمن محتويات غير صريحة كالمعاني المعبر عنها بألفاظ مجازية، والأقوال التي تستدعي استدلالات ذهنية مفهومة بين السطور تتطلب عملية تأويلها من طرف المتلقي (المرسل إليه) بذل جهد خاص من أجل استخلاص المحتوى التلميح والمعاني المضمر خلفها .

فالتلميح في التواصل بين المتحدثين استراتيجية خطائية غير مباشرة "يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنه اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق"⁷، والتلميح أحد معايير دلالة الشكل اللغوي التي لا يتضح فيها القصد من الخطاب مباشرة، وغنما يكون المعنى من القصد مستلزما يغير المعنى الذي يدل عليه ظاهر الخطاب .

ويظهر التلميح في الخطاب عندما يلمح المتكلم (المرسل) بالقصد عن الخطاب المناسب لسياق موضوع الكلام ليصل إلى دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المتلقي (المرسل إليه) الذي يتلقى الخطاب . ويتم توظيف التلميح في الخطاب لغايات متعددة منها : مراعاة للسياق الاجتماعي الذي يتطلب خطابات متنوعة، لذلك يستعمل التلميح بحسب الحاجة إليه بما يواكب متطلبات السياق، وما يكفل التكيف مع متقلباته من أجل إيضاح الفكرة، وهروبا من تحمل المسؤولية أثناء الخطاب، وإقناع المتلقي وتوجيهه صوب الفكرة التي ينويها المتكلم، وكذلك مراعاة للتأدب مع المخاطب، وابتعادا عن المحذور اللغوي الذي يتجنبه المتخاطبون .

وتزخر الخطابات والنصوص على اختلاف أنواعها بإستراتيجية التلميح التي تتمركز فيها الدلالة على المقام لتحقيقها .

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطة مهمة جدا هي أن إستراتيجيات الخطاب بأنواعها لا تختزل في مقاصد المتكلم فقط، وإنما تبني كذلك على المقاصد وعلى طريقة انتقاء الكلمات والجمل، وطريقة إحداث التناسب بين مؤلفات النص والموقف الذي يقف فيه صاحب النص، وينظر منه إلى بلوغ الغاية . والخطاب الشعري بدوره يشارك في إحداث التواصل "لأن كل عمل شعري يبدأ بتوصيل رسالة من نوع خاص ذات محتوى متصل بالقيم"⁸ فالتواصل في الخطاب الشعري يتحقق عندما يتأثر القارئ المتلقي برسالة الشاعر، وما يقوم به من سلوكيات ينتج عنها تواصل بين طرفين، لأن الشاعر لا يكتب دون أن يوجه كلامه إلى متلق معيّن حتى وإن كان افتراضيا، إضافة إلى هذا ما يحمله الخطاب الشعري من إثارة شعرية في نفس المتلقي والتي بسببها يحصل الإمتاع والإقناع في المتلقي الذي يفهم قصد الشاعر ويتأثر به "وقد يكون الشعر ابعد عن المنفعة، ولكن بالنظر إلى المبدأ العام للتواصل ينبغي أن يبلغ الشاعر شيئا، ولا بد أن يحرز السامع فائدة ما"⁹، وتبعاً لذلك فإن الخطاب الشعري يرتبط بالمنفعة التي تحمل المقاصد الإخبارية والإقناعية والتوجيهية والتأثيرية، وهو يعتمد على اللغة كأداة للتأثير على المتلقي وهو أيضا نص لغوي يحتمل سياقاً محدداً، ويبقى موضوع الخطاب الشعري العامل الرئيسي لجلب انتباه المتلقي .

ويعتبر الخطاب الشعري خطاباً كثير التعقيد لأنه من الصعب مناقشة هذا النوع من الخطابات في حقل الاستعمال اللغوي والتداولي للغة المتضمنة في سياق هذه الخطابات، وعليه فإن الخطاب الشعري يتضمن إستراتيجية التلميح بالاعتماد على أساليب لغوية مختلفة، وذلك بهدف التلميح إلى مقاصد الخطاب العميقة والمتنوعة .

ويأتي هذا البحث ليتناول التلميح في الخطاب الشعري عند الشاعر أحمد شوقي، وذلك بالتطبيق على نماذج مختارة من خطابه الشعرية.

3 ثالثاً: البعد التلمحي للتركيب المجازي في الخطاب الشعري عند أحمد شوقي

وظّف الشاعر بصفته مخاطباً الكثير من الصور البلاغية في خطابه الشعري، وفي كثير من المواقف فضّل الشاعر تبليغ مقاصده بالاعتماد على الحديث الضمني وترك الصريح منه، وقد احتفت قصائده بمظاهر الإقناع التي استخدمها في خطابه معتمداً على المجاز والصور البلاغية و"هي من الناحية التداولية اختيار من المتكلم لطريقة عرض خطابه، حيث يعدل عن التعبير الحقيقي المباشر إلى الحديث بصورة

بلاغية تجعل من السامع مهتما بالخطاب في ذاته قبل أن يقف على المقصود منه، وفي ذلك حرص من المتكلم على تنبيه مخاطبه لاستغلال اللغة ذاتها للوصول إلى مقصوده ودواعيها¹⁰ فاستعمال اللغة بغير ألفاظها الحقيقية أثناء التخاطب فيه إشارة من المتكلم لتنبيه المخاطب لاكتشاف المعنى غير المصرح به في الخطاب من أجل فهم المقصود .

وتتنوع الأشكال التعبيرية المجازية بحسب القول الذي يتجاوز فيه المتكلم التعبير من أسلوب إلى آخر، وتنحصر الصور البلاغية المجازية في التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز العقلي والمرسل وتظهر قيمتها التداولية في "دور المتكلم، حيث يقوم على إرادته في التعبير بطريقة دون أخرى وعلى رغبته وحرصه على يقظة المخاطب ونشاط ذهنه في استقراء مراحل الاستدلال اللازمة للإحاطة بالمعنى المقصود"¹¹، فاستخدام الصور البلاغية المجازية أثناء التخاطب يجعل المتكلم يخرق العادات التعبيرية المألوفة لأغراض معينة يعبر بها عما يريد إيصاله للمخاطب الذي يرجو منه إدراك قصده الذي تضبطه علاقات لغوية تعتمد التلميح للدلالة على المعنى دون التصريح به .

وعناصر بناء الصورة تشكل مظهرا من مظاهر التباين الذي هو انعكاس طبيعي للسياق الذي يجعل المتكلم يسوغ بناء صورته بشكل مغاير وتسمح عملية التخاطب المشتركة لمتلقي الخطاب "باكتشاف القول المضمر غير المصرح به في ظاهر الخطاب، وظاهر الخطاب يمثل (المقدمة الكبرى) والقول المضمر يمثل (المقدمة الصغرى) وعملية الانتقال بين المقدمتين تحقق (النتيجة) والتباين الحاصل بين الاستراتيجيات في الصورة التشبيهية راجع إلى الوظائف الخاصة لكل إستراتيجية التي عن طريقها تولد مفاهيم جديدة داخلية يشكل السلوك مظهرها من مظاهرها، أو توجد ثقافة مجتمعية تكون ضاغطة على الفرد من الخارج بتغيير سلوكه أو إنشاء معاني جديدة غير معهودة مدركة حسيا تشكل منطلقات جديدة في التعامل الإنساني"¹² .

إن الصورة التشبيهية التي تستند إليها الإستراتيجية التلميحية التي يعتمد عليها المتكلم في خطابه لتحصيل الإقناع تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة أمر معين عن طريق التشابه، ويتم التعبير باستعمال هذه التقنية لحاجات نفسية ومصالح مختلفة، ومن أجل إرساء المواقف، والدفاع عن الآراء، أو تقويم سلوك الفرد بإثارة العوامل العاطفية لديه .

والخطاب الشعري عند أحمد شوقي اتخذ من الصورة التشبيهية وسيلة لإحداث التغيير في البناء الداخلي النفسي للمتلقي وذلك بتقريب مشاهد البطولة وتجسيدها، وترغيب المتلقي لإدراك مشاهد التضحية في سبيل الوطن، ويظهر هذا التمثيل في الخطاب الشعري الآتي :

في ذمة الله الكريم وحفظه *** جسد يبرقد وسد الصحراء

لم تبق منه رحي الوقائع أعظما *** تبلى ولم تبق الرماح دماء

كرفات نسر أو بقية ضيغم *** باتا وراء السافيات هباء

وافاه مرفوع الجبين كأنه *** سقراط جرّ إلى القضاة رداء

شيخ تمالك سنة لم ينفجر *** كالطفل من خوف العقاب بكاء

الأسد تزار في الحديد ولن ترى *** في السجن ضرغاما بكى استخذاء¹³

ترسم حوارية الخطاب الشعري صورة الشهيد عمر المختار بصورة رفات النسر أو رفات الأسد (الضيغم)، وهي الرفات التي لم تستطع الرياح أن تهوي بها، وهي الصورة الأوضح والأقرب إلى ذهن متلقي الخطاب، وذلك لما يتميز به الشهيد البطل من صفات الشجاعة والقوة .

المشهد له دلالة إيحائية مؤثرة في النفس، وهذا الاستعمال المجازي للقول زوّد المتلقي بمعارف جديدة على معارفه، وهو ما يستدعيه الخطاب الذي يتناسب مع الموقف حتى يحدث الاقتناع لدى المتلقي بأن روح الشهيد خالدة حتى وإن اندثرت رفاتة بفعل الطبيعة .

ومقتضى الخطاب خرج إلى رثاء البطل (عمر المختار) ووصف مناقبه التي كتبها تاريخه المقاوم ضد المستعمر، ويمكن بناء ذلك في ضوء المنطق الاستدلالي الطبيعي الذي خطته الصورة التشبيهية كما يلي :

المقدمة الكبرى : جسد كرفات نسر أو بقية ضيغم

المقدمة الصغرى : النسر قوي وفتاك والضيغم شجاع

النتيجة : الشهيد عمر المختار شجاع وقوي وقاهر للمستعمر

لقد استخدم الشاعر في خطابه حرف التشبيه (كأن) الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمشبه (كأنه سقراط جرّ إلى القضاة رداء) لإضفاء طابع الموضوعية عليه رغبة في إقناع المتلقي وحمله على إنجاز فعل الود والشوق للبطل (عمر المختار) الذي كان رمزا للبطولة والوطنية في مقاومة المستعمر .

ومن أمثلة الصور المجازية التشبيهية المحملة بالقيم الأخلاقية التي استخدمها الشاعر مخاطبا لإثبات قضية وتقريرها في نفس مخاطبيه قضية القراءة وحب الكتب والوفاء لها ومن ذلك قوله في الخطاب الشعري التالي :

أنا من جدل بالكتب الصحابا *** لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا
صاحب إن عبته أو لم تعب *** ليس بالواجد للصاحب عابا
تجد الكتب على النقد كما *** تجد الإخوان صدقا وكذابا
فتخيرها كما تختاره *** وادّخر في الصّحب والكتب اللبابا
صالح الإخوان يبغيك التقى *** ورشيد الكتب يبغيك الصّوابا¹⁴

ففي الرسالة السابقة استعان الشاعر بالصورة التشبيهية لتوجيه سلوك المخاطب بغرض الترغيب تمهيدا لحمله على زيادة الاستحسان لقيمة الكتاب وأهميته، وهذه الصورة التشبيهية لها قيمة أخلاقية ذات غاية إقناعية للمتلقي اعتمد فيها الشاعر بصفته مخاطبا التلميح المجازي لتمرير قضية ذات أبعاد ثقافية وأخلاقية .

لقد أظهرت الصور التشبيهية المجازية مقاصد الكلام لدى الشاعر بصورة اعتمد فيها على التلميح في خطابه الشعري، وذلك لما تحمله من مضمرات قولية تتعلق بمحتوى الخطاب وأهدافه التي يستلزمها الكلام ويؤهلها المخاطب (المتلقي) انطلاقا من شكل الخطاب ومقامه .

وفي طريق استقصاء أسلوب التلميح اللغوي في الخطاب الشعري عند أحمد شوقي تحضر الصور الاستعارية بأبعادها التلميحية على مستوى البنية، وهي تشمل ما ذهن المتكلم الذي أنتجها في خطابه وما لها من أثر على المتلقي، لأن التصوير الاستعاري يحمل مضمرات تتعلق بمقاصد المتكلم الذي يحملها قيمة فاعلة تتعلق بالقول وبأطراف الخطاب التي يحاورها .

وتساهم الاستعارة في تحديد المقاصد الإبلابية لمتلقي الخطاب الذي يصل إلى القصد الحقيقي من خلال المعنى المستلزم بناء على التركيب اللغوي والمقام، وتكمن قيمتها في الخطاب في التعبير عن المقاصد التي تحقق أهداف المتكلم، وتضمن موافقة المتلقي على وقائع غير معلومة عبر بها المتكلم باستعمال علامات لغوية تلميحية يقتضيها سياق التلفظ .

ومن بين أبرز الصور الاستعارية التلميحية التي استخدمها الشاعر هي تمثيله بمعاني لا متناهية للمعنى المقصود ويظهر هذا التمثيل في الخطاب الشعري الذي يرثي فيه صديقه الشاعر (حافظ إبراهيم) :

قد كنت أوثّر أن تقول رثائي *** يا منصف الموتى من الأحياء
الحق نادى فاستجبت ولم تزل *** بالحق تحفل عند كـل نداء
وأنت من صحراء الإمام تذوب *** من طول الحنين إلى ساكن الصحراء
من هدام ويبنى مجده *** بكرائم الأنقـاض والأشلاء
ما حطموك وإنما بك حطموا *** من ذا يحطم رفرف الجـوزاء¹⁵

استخدم المتكلم لفظ (يبنى مجده)، و(تذوب من طول الحنين)، و(حليتني بقصيدة)، (يحطم رفرف الجوزاء) ليكسب السمات الدلالية المجردة، وهي سمات فضل للمرثي حافظ إبراهيم، لأن نقل صفة الفضل للمرثي وتمجيده إذا جاءت في صورة بيانية تلميحية تكون أبهى وتحرك نفس المتلقي للتعرف أكثر على شخصية صديق المرثي .

فالشاعر وهو يصف صديقه بأحسن الصفات متعمدا الادعاء التلمحي في هذا الموقف حتما يؤدي خطابه إلى توليد معان جديدة ذات صبغة اجتماعية تحمل في طياتها الملاحظة والمجاملة بهدف إفهام فكرته للمتلقي، الذي يجب عليه التسلح بملكة تواصلية من أجل إدراك سيورة المعنى في خطاب الشاعر الذي شحن لغته بصور استعارية ذات بعد تلمحي لينتج معاني رثائية ترتبط بمقام وفاة صديقه الشاعر (حافظ إبراهيم) .

فالتمثيل في الصور السابقة يتجسد في علاقة المتكلم بالمرثي وهو يدافع عنه ويستميل المخاطب إلى التفاعل مع الموضوع بحيث لا يمكن للمتلقي إدراك علاقة التشابه التي استعان بها الشاعر إلا بعد عمليات استدلالية، وهنا تتجسد مظاهر الإقناع لدى المتلقي بموضوع الخطاب انطلاقا من القوة الحجاجية للتمثيل بالتلميح الاستعاري .

ومن بين الصورة الاستعارية التي يظهر فيها أسلوب التلميح اللغوي، والتي وظفها الشاعر مخاطبا لإثارة الدهشة والإعجاب في نفس المتلقي قوله في الخطاب الشعري :

نُحْمُ صفوة الباري ورحمته *** وبغية الله من خلق ومن نسم
لولا له لم نر للدولت في زمن *** ما طال من عمد أو قرّ من دعم

بالأمس مالت عروش واعتلت سرر *** لولا القذائف لم تلتهم ولم تصم
 مهما دعيت إلى الهيجاء قمت لها *** ترمي بأسد ويرمي الله بالرجم
 لو صادف الدهر يبغي نقلة فرمى *** بعزمه في رجال الدهر لم يرم¹⁶

في هذا الخطاب يعبر الشاعر عن بنفسية الإعجاب مخاطبا باللفظ الاستعاري الذي يجسد المعنى ماديا (مالت عروش)، (واعتلت سرر)، (ترمي بأسد) ، (رمى بعزمه)، فالتمثيل مادي، أما الدلالة المقصودة فهي معنوية، لأن الصور التلميحية السابقة تحمل الدلالة المادية للفعل وتجسده، وهذا الخطاب باللفظ التلمحي غير المباشر ينقل البعد النفسي للشاعر زمن إنتاج الخطاب طلبا لموافقة المتلقي (المرسل إليه) على إدعائه فهو يصور شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وينقل بعض المحطات التاريخية لبطولات الدولة الإسلامية ودورها في نشر الدعوة، واستخدامه لهذه الصور الاستعارية التلميحية يحيل السامع إلى دلالات لامتناهية في الوصف، مما يساهم في إحداث الدهشة والإعجاب، ويضمن استمالة المتلقي ويساعد المخاطب "في الإحاطة بالمعنى المقصود ومعرفة نوايا المتكلم زمن إنتاج الخطاب والتلفظ به لئلا يفتقد شيئا من عناصره"¹⁷

وقوله أيضا :

شريعة لك فجرت العقول بها *** عن زاهر بصنوف العلم ملتطم
 يجري الزمان وأحكام الزمان على *** حكم لها نافذ في الخلق مرتسم
 لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت *** مشت ممالكه في نورها التتم
 ساروا عليها هداة الناس فهي بهم *** إلى الفلاح طريق واضح العظم
 لا يهدم الدهر ركننا ساد عدلهم *** وحائط البغي إن تلمسه ينهدم
 نالوا السعادة في الدارين واجتمعوا *** على عميم من الرضوان مقتسم¹⁸

يظهر التلميح الاستعاري في (مشت ممالكه في نورها)، و (ساروا عليها هداة الناس)، و (لا يهدم الدهر ركننا)، (يجري الزمان) وهي صور تعتمد التلميح إلى الدلالة دون التصريح بها من خلال توالد الدلالات وامتداد المعنى في نفس المتكلم وبالتالي تحيل المعنى إحالة لامتناهية في الامتداد إلى ذهن المتلقي (المرسل إليه) والتي تجعله يدرك مقصود المرسل (الشاعر) الذي يتحدث عن مآثر الدولة الإسلامية وقائدها النبي محمد ﷺ، ومصداقية الرسالة المحمدية، وقد اعتمد أيضا (أحمد شوقي) في سياق الخطاب الشعري التلميح من خلال استعماله لألفاظ غير صريحة مستخدما الكناية وعدم التصريح بالمعاني

المقصود ن وهو في ذلك يسعى إلى إنتاج معاني ذات صبغة اجتماعية لتمرير بعض القضايا وليعبر عن رأيه نحوها، وهو بهذا قد جعل المعاني التي تقوم على التلميح الكنائي مقتضى من مقتضيات الكلام الموجه للمتلقى وتحصيل حاصل في ذهنه، لأن الشاعر بصفته متكلماً يتلفظ بعبارات ويقصد غير ما تلفظ به، والمتلقي القارئ لشعره يفهم بأنه يقصد غير الذي تلفظ به حرفياً في كلامه، ومن أمثلة التلميح بالكناية التي وظفها الشاعر قوله في الخطاب الشعري :

نُجِّد صفوة الباري ورحمته *** وبغية الله من خلق ومن نسم
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة *** متى الورود وجبريل الأمين ظمي
سناؤه وسناه الشمس طالعة *** فالجرم في فلك والضوء في علم¹⁹

في الخطاب الشعري السابق استعان الشاعر بالكناية (صاحب الحوض) (سناؤه وسناه الشمس طالعة) ملمحاً ليحيل المخاطب إلى الدلالة دون أن يصرح بها وهو يتغنى بصفات النبي ﷺ، وفي ذلك إحالة هامشية يحيل بها المتكلم (الشاعر) إلى نوع من مشاعره وعواطفه اتجاه موضوع الكناية الموصوف (النبي ص) وهو يخفي الدلالة المقصودة ، وأحياناً يصرح بها رغبة في إثارة المتلقي واستمالاته ليحيط بموضوع الخطاب ويتفاعل معه .

ويتضح معنى الكناية في الخطاب الشعري السابق انطلاقاً من أنها تعبر عن معنى دلالي غير مباشر وهي إحدى وسائل التلميح أثناء التخاطب.

فالتلميح الكنائي مشروط باعتبار مقام الكلام، لأن المعاني المستلزمة لا يصل إليها المتلقي إلا إذا كان محيطاً بالعلاقات غير اللغوية التي يبنى عليها فهم المعاني المقصودة، والتي يصل إليها المتلقي للخطاب انطلاقاً من المقام الخاص بألفاظ المتكلم، والشاعر في الرسالة السابقة اختار التلميح بالكناية لأنه أبلغ من الإفصاح ليمدح النبي ﷺ بأحسن الصفات .

4 رابعا : التلميح بالأفعال الكلامية غير المباشرة

تعتبر الأفعال الكلامية من المباحث الجوهرية التي ساهمت في ظهور النظرية التداولية في البحث اللغوي، وقد ميز (سيرل) بين نوعين من الأفعال الكلامية (المباشرة وغير المباشرة) " فالأفعال الكلامية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول .. أما الأفعال غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر²⁰ فالفعل الكلامي غير المباشر يخالف

المعنى الحرفي الذي يقصده المتكلم، لأن المتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر مدفوعا بعدة أسباب تتعلق بسياق الخطاب أهمها التأدب في الحديث، وعلى المخاطب (المتلقي) أن يصل إلى قصد المتكلم عبر عمليات ذهنية استدلالية ترتبط بمقام الخطاب، لأن دلالة هذه الأفعال الكلامية لا تظهر قوتها الإنجازية إلا في السياق الذي استخدمت فيه . وذلك أن المتكلم يعدل عن استعمال الخطاب المباشر في كثير من الأحيان استجابة لدواع سياقية فيلمح بطريقة خطابية غير مباشرة مراعاة للتأدب ولأسباب أخرى يفرضها السياق التخاطبي ومن هنا نصل إلى أن الفعل الكلامي غير المباشر يتمثل في تلك الأقوال الخارجة في دلالتها عن مقتضى الظاهر، وهي أفعال سياقية لا يدرك معناها غلا من خلال القرائن اللسانية والحالية واضرب الاستدلال العقلي²¹ وترتبط الأفعال الكلامية غير المباشرة بالمقام الذي يمنح للخطاب أكثر من قصد، ويتحدد معناها التلميح من خلال قدرة المستمع على تفسيرها حسب المواقف الخطابية التي يفرضها السياق " فلم يعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل، وإن عددناه واحدا من مقاصده، إذ يختبئ وراءه قصد آخر، اختار المرسل الإستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، وهو الرفض أو التهكم، ولذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر²² فالتكلم (المرسل) ينجز أفعالا لغوية تدل على معاني أخرى تناسب السياق الذي وردت فيه، ولا تعبر عن معناها الحرفي الحقيقي انطلاقا من دلالتها اللغوية الصورية، لأن التأويل الدلالي يصبح غير كاف لذلك يجب ربطها بالمقام حتى يتحقق إنجازها الممن الوجهة التداولية، وتظهر القوة الإنجازية للفعل الكلامي غير المباشر " بخروج اللفظ عن معناه ودلالته الحقيقية إلى معنى آخر هو المقصود الدلالي من هذا القول كخروج الاستفهام إلى معنى مقامي كالتعجب أو النفي أو الاستنكار، وخروج الأمر على معنى مقامي آخر كالدعاء أو التوبيخ²³ وفي هذا السياق استعمل الشاعر (أحمد شوقي) في خطابه الشعري أفعالا لغوية غير مباشرة بصفته متكلمًا غير مصرح في فحوى كلامه مكثفيا بالتلميح معتمدا على فطنة المتلقي (القارئ) وذكائه ليفسر المقصود من كلامه، ويمكن الإشارة هنا إلى فعل الأمر الذي استخدمه الشاعر للتلميح، حيث يظهر دور المتكلم في التركيب اللغوي الخاص به وهو يستبدل دلالة قوله من مستوى إلى آخر فيتحول الأمر إلى توبيخ كما جاء في الخطاب الشعري الآتي :

سلوا قلبي غداة سلا وتابا *** لعل على الجمال له عتابا

فمن يغتر بالدنيا فإني *** لبست بها فأبليت الثيابا²⁴

حيث تحولت صيغة الأمر (سلوا قلبي) من معناها الوضعي إلى معنى مجازي غير صريح هو التوبيخ ذلك أن المتكلم (الشاعر) لا يمكن ان يقصد التأثير في السامع ليقوم بأمر ما، ولكنه يوبخ نفسه ويحث المتلقي على الزهد وعدم الانسياق وراء الهوى، والذي يثبت قصده هو الخطاب الموالي في قوله :
وكل بساط عيش سوف يطوى *** وإن طال الزمان وطابا²⁵

وعليه فقد جاءت صيغة الأمر في خطاب الشاعر تحمل بعدا تلميحيا دل عليه مقام الخطاب .
واستخدم الشاعر أيضا بصفته مرسلا للخطاب أسلوب الاستفهام ليعرض مواقفه الخطائية بشكل غير صريح، حيث ينقل خطابه من أسلوب مباشر إلى أسلوب غير مباشر يؤخذ بالتلميح، وهو من المتفقق عليه بالكلام بين المتكلم والمخاطب كما في حدث في أساليب الاستفهام التي تضمنت معنى آخر هو التعجب كقوله في الخطاب الشعري الآتي :

وهي تقول لأبي *** بلهجة المؤنب

ويح له ويح له *** ذا الولد المعذب

ألم تكن تصنع ما *** يصنع إذ انت صبي²⁶ ؟

يعرض الشاعر بصفته متكلمًا في التركيب السابق أخبارًا تتعلق بمواقف ينقلها للمخاطب (المتلقي) الذي يستقصي الدلالة ليصل إلى المقصود، لأن التركيب يحمل تعجبا على شكل استفهام، والمراد منه الإنكار من فعل الأب على لسان الجدة، فالسامع لا يدرك الإبلاغ المقصود بالاستفهام إلا من خلال عناصر السياق وملابسات الحديث التي ذكرها الشاعر (المتكلم) في الخطاب معتمدا على الاستفهام الدال على معان خفية .

وهناك أيضا تلميحات يقصد إليها المتكلم (الشاعر) في الأفعال الكلامية ببعض الأساليب مثل النداء الذي يخرج عن معناه الحقيقي وهو الإقبال إلى الحسرة والندم بسبب التأثير والتعبير عن المعنى النفسي الذي يسيطر على المتكلم، ومنه قول الشاعر في الخطاب الشعري الآتي :

يا قلب ويحك والمودة ذمة *** ماذا صنعت بعهد عبد الله

ولو أن قلبا ذاب إثر حبيبه *** لهوى بك الركن الضعيف الواهي²⁷

فقول الشاعر في التركيب السابق (يا قلب ويحك) تلميح إلى عظمة المصيبة التي شعر بها عندما وصله خبر وفاة رجل القانون (عبد الله الطوير)، فهذا التلميح بالفعل الانجازي الذي أخرج النداء من معناه الحقيقي وحمل الخطاب بعدا نفسيا عند المتكلم والمخاطب، والتلميح بهذه الصورة يرتبط بقصد

الشاعر (المتكلم) الذي يسعى إلى نقل صورة الخطاب المرتبطة بالقصد وذلك من شأنه أن يساعد المتلقي على الإحاطة بالمعنى المقصود من النداء .

ومجمل القول أن الخطاب الشعري يزخر بإستراتيجية التلميح التي تتنوع آلياتها وأدواتها بين الصور البلاغية المجازية، والأفعال اللغوية غير المباشرة التي يرتبط فيها الخطاب بقصد المتكلم المناسب للسياق، لأنها تحمل دلالة غير مباشرة ينتجها المخاطب ويفهمها المتلقي (المرسل إليه) اعتمادا على الاستدلال الذهني وعناصر السياق التي تربط بين الخطاب وقصد المتكلم .

وفي هذا الإطار اعتمد الشاعر (أحمد شوقي) على التلميح بصفته إستراتيجية غير مباشرة ليعبر عن مقاصده حسب ما يقتضيه السياق الذي أنشأ فيه خطاباته الشعرية، فوظف الصور البلاغية المجازية بأنواعها، والأفعال الكلامية غير المباشرة، والتي تشكل أدوات لغوية للتلميح في الخطاب الشعري لتحقيق مقاصد مختلفة مراعى في ذلك عدة أسباب أهمها التأدب في الخطاب أثناء عرضه لأخبار ومواقف خطابية متنوعة بأبعادها الاجتماعية والثقافية والدينية .

وأخيرا فإن هذا البحث لا يدّعي إحضار أي جديد بقدر ما هو محاولة لتطوير المنهج التداولي خدمة للخطاب الشعري، وذلك بتوظيف المقاربة التداولية في فهم الجانب الضمني من الخطاب الشعري للوصول إلى ماهو مفقود في النص الشعري.

هوامش:

¹ جميل حمداي : التداوليات وتحليل الخطاب، منشورات المثقف، 2015، ص 4 .

² مدور محمد : الإستراتيجية التلميحية في الخطاب القرآني مقارنة تداولية لظاهرة المحذور اللغوي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، (الجزائر)، العدد 20، 2014، ص 29 .

³ طه عبد الرحمن : اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، (المغرب)، 2012، ص 238

⁴ المرجع السابق، ص 223.

⁵ مدور محمد : الإستراتيجية التلميحية في الخطاب القرآني مقارنة تداولية لظاهرة المحذور اللغوي، ص 29

⁶ مدور محمد : ظاهرة التأدب في كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، (الجزائر)، مجلد 8، العدد 2، 2015، ص 1297 .

⁷ يوسف تغزاوي : الوظائف التداولية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، دار الكتب العلمية للنشر (الأردن)، 2014 ص 202.

- ⁸ جابر عصفور : مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر)، 1995، ص 232 .
- ⁹ خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة (الجزائر)، 2012، ص 17.
- ¹⁰ المرجع السابق، ص 61 .
- ¹¹ المرجع نفسه، ص 62 .
- ¹² حازم طارش حاتم : استراتيجية الإقناع في الصورة التشبيهية في الخطاب القرآني، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، (العراق)، العدد2، 2017، ص2
- ¹³ أحمد شوقي : الشوقيات، تعليق يحيى الشامي، دار الفكر العربي، (لبنان)، 1996، ص 44 .
- ¹⁴ المصدر السابق، ص 92 .
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص 54.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص 512.
- ¹⁷ خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، ص 67.
- ¹⁸ أحمد شوقي، الشوقيات، ص 513 .
- ¹⁹ المصدر السابق، ص 508 .
- ²⁰ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (مصر)، 2002، ص 81 .
- ²¹ بوقرومة حكيم، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم - مقارنة تداولية - مجلة الخطاب، دار الأمل للنشر والتوزيع، (الجزائر)، العدد 3، 2008، ص 19.
- ²² عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، (ليبيا)، 2004، ص367.
- ²³ يوسف الكوفحي، التلميح بالفعال اللغوية غير المباشرة في الخطاب القرآني سورة المائدة نموذجاً، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، (الأردن)، المجلد 43، العدد4، 2016، ص 1743 .
- ²⁴ أحمد شوقي، الشوقيات، ص 102 .
- ²⁵ المصدر السابق، ص 102.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص 120.
- ²⁷ المصدر نفسه، ص 629.